أول الخلق محمد صلى الله عليه وآله
قراءة دلالية في الروايات التفسيرية

أ.د صباح عيدان حمود العبادي

قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة ميسان، العراق
mailto:Ssaabbaahh75@gmail.com

مجلة نبيّنا
Journal Homepage: http://nabiyuna.com
ISSN: 2789-4290 (Print) ISSN 2789-4304 (Online)

أول الخلق محمد ﷺ

قراءة دلالية في الروايات التفسيرية

صباح عيدان حمود العبادي[١]

١-جامعة ميسان/ كلية التربية / قسم اللغة العربية ، العراق ؛

Ssaabbaahh75@gmail.com

دكتوراه في علم اللغة / أستاذ

تاريخ التسلّم : ٣/ ٨/ ٢٠٢٣

تاريخ القبول : ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٣

تاريخ النشر : ١/ ١٢/ ٢٠٢٣

السنة(٣)-المجلد(٣)

العدد(٦)

جمادي الأول ١٤٤٥ هـ

كانون الأول ٢٠٢٣م

DOI: 10.55568/n.v3i6.17-39

CC BY NC

الملخص :

ظلت بعض المفردات في التعبير القرآني تشكل نقطة اختلاف في توجيه دلالتها، فلم يثبت المشتغلون في عمليات الفهم على توحيد رؤيتهم التفسيرية، او تقاربها على الاقل في إيجاد بؤرة دلالية مشتركة تشفي غليل الباحث في دلالة النص القرآني، ومن هذه المفردات مفردة (الأسماء) التي علمها الله (عزوجل) لنبينا آدم عليه السلام، وكذلك في مفردة (الكلمات)التي تلقاها النبي آدم عليه السلام لتكون سبباً لتوبته، ومن ثم اجتباؤه واصطفاؤه، وغيرها من المفردات التي فيها إشارات دلالية او احتمالات تأويلية مختلفة، فجاء البحث هنا الى تسليط الضوء على بعض الروايات التفسيرية التي ذكرها أصحاب الحديث وأفاد منها المفسرون في تعيين مصاديقها الخارجية، ومن اهم تلك المصاديق هو نبينا الكريم محمد ﷺ. فهذه قراءة جادة لعرض هذه الآراء ومحاولة القبض على

دلالاتها الراجحة عند اشهر المفسرين، فيها نظرة موضوعية لتقريب وجهات المعنى الى ما يخدم الحقيقة المحمدية في الوجود الدنيوي وما يقابلها من الوجود الغيبي، والكشف عن اسرار هذه الشخصية التي أراد لها خالقها ان تكون بؤرة الوجود، وسرًا من اسراره العظيمة في خلقه.

الكلمات المفتاحية: النبي محمد في القرآن، الروايات التفسيرية، الدلالة القرآنية.

تقديم

إن اختلاف الفهم بين المفسرين في الكشف عن دلالة بعض المفردات القرآنية ؛ فيه إشارة واضحة الى وجود بعض الأسرار التي ينبغي البحث عنها في توجيه دلالتها الى معانيها المرادة، وتُعد عملية الظفر بالمعاني المحتملة عملية معقدة ومتداخلة، وتحتاج الى متابعة جادة من أجل فهم معانيها التي ذكرها المفسرون الذين يتكئون غالباً على تراثهم اللغوي الدلالي ومعرفتهم بطرق النظم والسياقات الداخلية والخارجية التي ترافق ولادة النص القرآني كأسباب النزول، ومقام التبليغ، ونظام الوحي او الاحداث المدونة في كتب السيرة، والروايات التفسيرية ومؤلفات الحديث، أو القضايا الشخصية الخاصة بكل مفسر كالمكاشفات والالهام.

ومع هذا كله ظلت بعض المفردات تشكل نقطة اختلاف في توجيه دلالتها، فلم يثبت المشتغلون في عمليات الفهم على توحيد رؤيتهم التفسيرية، او تقاربها على الاقل في إيجاد بؤرة دلالية مشتركة تشفي غليل الباحث في دلالة النص القرآني، ومن هذه المفردات مفردة (الأسماء) التي استعملها القران في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٣١)، وكذلك في مفردة (الكلمات) في قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ كالرَّحِيمِ﴾ (البقرة:٣٧)، وغيرها من المفردات التي فيها إشارات دلالية او احتمالات تأويلية تذهب الى معانٍ معينة فيها لغط معرفي صريح، فحاول البحث هنا الى تسليط الضوء على بعض الروايات التفسيرية التي ذكرها أصحاب الحديث وأفاد منها المفسرون في تعيين مصاديقها الخارجية، ومن اهم تلك المصاديق هو نبينا محمد ﷺ. فهذه قراءة جادة لعرض هذه الآراء ومحاولة القبض على دلالاتها الراجحة عند اشهر المفسرين، فيها نظرة موضوعية لتقريب وجهات المعنى الى ما يخدم الحقيقة المحمدية في الوجود الدنيوي وما يقابلها من الوجود الغيبي، والكشف عن اسرار هذه الشخصية التي أراد لها خالقها ان تكون بؤرة الوجود، وسرًا من اسراره العظيمة في خلقه.

وعند الرجوع الى كتب التاريخ والسيرة، لا نجد دلالات واضحة على علاقة الرسول الاكرم ﷺ بالحقبة الزمنية التي عاش فيها ابونا آدم عليه السلام، ولكن مع العودة الى الروايات الحديثية في

بعض كتب التفسير؛ نجد اشارات واضحة في ورود ذكره ﷺ، متزامنة مع ذكر إبي البشر، وهو ما يهمنا بصورة جلية ؛ إذ نحتاج الى وقفات صريحة وجريئة لتحليلها والنظر اليها بدقة موضوعية، الهدف منها الوصول الى قناعة علمية بعيدة عن التعصب والمسبقات العقدية، وانما تعرض جميع الآراء بطريقة علمية على قواعد النقد البناء، ودراسة التركيب النصي، ومحاولة استنطاقه للوصول الى اقرب نقطة دلالية محتملة يمكننا التعويل عليها في معرفة الحقيقة القرآنية التي يتمتع بها نبينا الكريم ﷺ. وذلك في مبحثين رئيسين:

أولا: الاسماء المباركة في سرادق العرش:

تشير بعض الروايات التفسيرية الى أن اسم النبي الاكرم ﷺ، كان موجودا قبل ولادته بألاف السنين، وفي زمن النبي آدم عليه السلام؛ بل قبل وجوده وجعله خليفة لله (عزوجل) على الأرض، وهذا يمكن اكتشافه في ضوء الروايات التي ذُكرت في تفسير قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٣١)، وقبل التوقف عند هذه الإشارات، وفهم مفردات الرواية؛ لابد من توضيح بعض القضايا التي اهتم بها المفسرون في محاولتهم لفهم الآية المباركة ؛ لأنها نافعة في تقريب تلك المعاني وفهمها تأويلاً ودلالة.

أولاً : القراءة:

القراءة المشهورة التي دونت في المصحف الشريف أن الفعل (عَلَّمَ) مبني للمعلوم، أي أن فاعله هو المولى (عز وجل)، وقُرئ : وعُلم آدمُ الأسماء – على البناء للمفعول[1]، فيكون النبي آدم عليه السلام مرفوعاً على أنه نائب عن الفاعل ؛ ليكون المعلمُ له غير مسمى، أو أن التعليم لآدم حدث من جهة أخرى، قد تكون هي الواسطة في التعليم، أو انه تعلّم الاشياء والاسماء وحده من خلال تواجده في الجنة؛ لذا قيل أن هذا التعليم حدث : ((إما بخلق علم ضروري فيه، أو إلقاء في روعه، ولا يفتقر سابقة اصطلاح ليتسلسل، والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً، ولذلك يقال: علْمته فلم يتعلم))[2]. فعملية التعليم على هذا عملية تفاعلية بين جهتين : مُعلِمٌ، ومتعلم.

وفي قوله (عزوجل) : ثُمّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، قرأ أبيّ : ثم عرضها، وقرأ ابن مسعود : ثم

---

١ المشهدي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١، ٣٤٥.

٢ القلعجي، معجم لغة الفقهاء ، ١٦.

عرضهن. والضمير على الأول، يعود للمسميات، إما على الاستخدام، وهو أن يذكر لفظ وأريد معنى وبضميره معنى آخر. أو على حذف المضاف إليه وإقامته مقامه في إفادة تعريف المضاف، ويكون من تغليب العقلاء الذكور على غيرهم، وعلى الثاني والثالث للأسماء، إما على الاستخدام أيضا، أو على حذف مضاف، والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها.[٣] وهذه الاحتمالات جميعها تدل على تغليب العقلاء في هذه المسميات، أي أنها أسماء لموجودات عاقلة.

ثانياً: الاسماء ودلالاتها:

بعض الروايات التي بين ايدينا تشير بوضوح الى أن هذه الاسماء هي اسماء لبعض المسميات التي تعلّمها النبي آدم ﵇، أما بصورة مباشرة، أو عن طريق واسطة، ففي التفسير المنسوب للإمام العسكري ﵇(ت ٢٦٠ هـ)، قال: (((وعلم آدم الأسماء كلها) أسماء أنبياء الله(عزوجل) ، وأسماء محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والطيبين من آلهما، وأسماء خيار شيعتهم، وعتاة أعدائهم (ثم عرضهم – عرض محمدا وعليا والأئمة – على الملائكة) أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة))[٤]. هنا تصريح بأن هذه الاسماء موجودة لمسميات تكون على شكل اشباح نورانية في اظلّة العرش، خلقها الله تعالى قبل خلق آدم ﵇. فهي تشير الى اسماء الانبياء ومنهم محمد ﷺ، وفيه دليل على أن وجود النبي في تلك المدة الزمنية كائن بصورة شبح نوارني. ولا يوجد دليل من المفردة او الاية وسياقها على اثبات هذا المعنى ؛ لذا نحن بحاجة الى تتبع روايات تفسيرية أخرى في هذه الوقفة التأويلية، قد تساعدنا في توجيه الدلالة القريبة من هذه الوقفة التفسيرية.

في الرواية التي ينقلها فرات الكوفي(٣٥٢هـ) في تفسيره، بسنده عن الامام الصادق ﵇ قائلاً: ((... إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء، فخلق خمسة من نور جلاله، و[جعل] لكل واحد منهم اسما من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمى [النبي. ب] محمد ﷺ، وهو الأعلى وسمي أمير المؤمنين عليا، وله الأسماء الحسنى فاشتق منها حسنا وحسينا، وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه اسما،

٣ المشهدي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١، ٣٤٥.
٤ العسكري، تفسير الامام العسكري، ٢١٧.

فلما خلقهم جعلهم في الميثاق فإنهم عن يمين العرش...))[٥]. وهذه الرواية كانت أكثر توضيحا مما ذكر في تفسير الامام العسكري، فهي تذكر بجلاء أن هناك أنوارا خُلقت من جلاله تعالى، وهذه الانوار هم حقيقة المعاني التي يحمله الاسم، فهي ايضا توضح أن اشتقاق الاسماء من اسمائه تعالى، وهذا يثير لدينا بحثاً مهماً؛ وهو علاقة الاسم باشتقاقه من اللفظ، وكيف يمكن أن يكون علامة ودليلا الى المعنى في الذهن، أو في الصورة الخارجية؛ لأن الاسم ((باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء، ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا » أو مفردا » مخبرا » عنه أو خبرا » أو رابطة بينهما، واصطلاحا » في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة))[٦]، فيتضح من جزئيات الرواية أن نبي الله آدم عليه السلام عرف حقيقة هذه الموجودات النورانية، فاحتاج أن يعلم الدلالة عليها فسأل عن اسمائها، وتستمر الرواية التي يذكرها فرات الكوفي سرداً بإكمال المشهد بقوله: ((فلما خلق الله (عزوجل) النبي آدم عليه السلام، نظر إليهم عن يمين العرش، فقال : يا رب من هؤلاء ؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي، خلقتهم من نور جلالي، وشققت لهم اسما من أسمائي، قال: يا رب فبحقك عليهم علمني أسماءهم، قال: يا آدم فهم عندك أمانة، سرٌّ من سري، لا يطلع عليه غيرك إلا باذني، قال: نعم يا رب، قال: يا آدم أعطني على ذلك العهد، فأخذ عليه العهد، ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة...))[٧]. وهذا يستدعي أن تكون هذه الاسماء لذوات موجودة وعاقلة؛ لأنها اُشتقت من صفات المولى الذي يمثل جوهر الوجود العاقل، فيمكننا القول إن هذه الاسماء ((هي الموجودات العينيّة التكوينيّة، التي هي مظاهر الصفات، فإنّ كلّ موجودٍ يتكوّن ويخلق : فهو ظهور وتجلَّى عن صفة خاصّة، والمعرفة بهذه التجلّيات والمظاهر والخصوصيّات : من أعلى المعارف الحقّة الإلهية التي لا يطَّلع عليها الَّا من شاهد صفات الجلال والجمال بحقائقها. ونتيجة هذا الإطَّلاع : هو تحقيق التوحيد، والارتباط الكامل، ورفع الخلاف والاثنينيّة في العوالم والتوجّه الخالص إلى الله (عزوجل) الواحد، ونفي كلّ حول وقوّة وقدرة وأنانيّة عن ما سوى الله

---

٥ الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ٥٧.

٦ القلعجي، معجم لغة الفقهاء، ١٦.

٧ الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ٥٧.

(عزوجل) العزيز المتعال))[٨]. وهذا المعنى يؤيده السيد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية بقوله : ((مسمياتها كانوا موجودات أحياء عقلاء، محجوبين تحت حجاب الغيب، وأن العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء))[٩].

والشيء المهم أن هذه الرواية التي ذكرها فرات الكوفي، تشير الى سر من اسرار المولى، احتفظ به عنده ؛ ليكون حجة على الانبياء والرسل، وهو دليل على ان العلم بهم خاص بدرجة من الفهم الكوني الذي لا يطّلع عليها الا الخواص، إذ (قال : يا آدم فهم عندك أمانة، سر من سري، لا يطلع عليه غيرك إلا باذني)، وهو ما سيفتح لنا سر معرفة الكلمات التي تلاقاها ادم في اية أخرى.

و يمكننا اكتشاف دليل جديد سياقي لغوي، يؤكد أن هذه الاسماء هي كيانات نورانية عاقلة، وهذا يتأتى من استعمال القرآن لضمير العقلاء في قوله: (وعرضهم)، وكذلك استعمال ضمير المفرد المؤنث في (كلّها)، وفي اسم الاشارة لجمع العقلاء في قوله : ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة:٣١). هذه كلها إشارات تدلّ على أن هذه الأسماء هي موجودات عاقلة، فهم أنوار في عالم الذر عند تجسيدها في عالم العقلاء ؛ تخرج تلك الأسماء من القوة إلى الفعل، وهذه الاستعمالات فيها اسرار وجودية غيبية خاصة بعلمه تعالى، وبعلم من يريد هو ان يطلعهم عليها، فالله (عزوجل) يُطلِع مكنون علمه الذي هو في عالم الغيب لمن ارتضى من عباده ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إلاّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾الجن:٢٦-٢٧، وأول من يستحق معرفة الغيب هو أول الخلفاء لله (عزوجل) ((ومن تلك الأسرار هذه اللطيفة الرحمانية، فإن تلك الكمالات - التي لا يشذ عنها النبي آدم عليه السلام - إذا كانت في مرحلة القوة والاندماج، فهي واحدة مؤنثة، وإذا بلغت إلى مرحلة الكمالات الفعلية والكثرة الجامعة، تصير من ذوي العقول، وتليق بإرجاع ضمير الجمع إليها))[١٠]. فمعرفة هذه الاسماء تعد ضرورة لا يستغني عنها وجود النبي آدم عليه السلام، حال كونها ذوات عاقلة لها شأن في مصير الخلافة الكونية من الله (عزوجل).

ومن هذه اللمحة اللغوية، يمكننا تأييد الذي يرى أن قوله (عزوجل) : (علَّم الأسماء) : ((هو

---

٨ المصطفوي، التحقيق في كلمات القران الكريم، ج٨، ٩٤.

٩ الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ج١، ١١٧.

١٠ الخميني، تفسير القران الكريم، ج٥، ٣٣٧.

الذات من جهة مظهريّتها، وفي قوله (عزوجل): عرضهم: هو الذات من حيث هي، وفي قوله (عزوجل): بأسماء هؤلاء: أي بجهات كون هذه الذوات العينيّة أسماء ومظاهر للصفات الحقّة))[١١].

وهذه النظرة التأويلية والاسرار اللغوية، فيها ردٌّ على من يقول ان تعليم الاسماء المقصود منه تعليم اسماء الأشياء، او تعليم اللغات المختلفة، أو القدرة على معرفة الاشياء بأسمائها. والدليل على بعد هذه الآراء عن المعنى القريب، هو أن الله (عزوجل) في حواره مع النبي آدم ﵇ والملائكة، استعمل لغةً تحاور بها مع الملائكة، وذلك في مسألة خلافة الارض، واستعمل الاشياء بأسمائها المعروفة عند آدم ﵇ وعند الملائكة؛ لأن العلم باللغات، أو لا أقل العلم بأسماء الأشياء، كان حاصلاً بالحوار الذي نقله القرآن الكريم بين الله (عزوجل) وبين الملائكة، في مسالة الخلافة﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة: ٣٠)، وهي حادثة سابقة زمنياً؛ لأنها حدثت قبل مسالة تعليم الاسماء، فالظاهر من عملية الحوار الجاري بين المولى (عزوجل) والملائكة، أنها جرت بلغة معينة، وفيها دلالات معروفة لدى جميع الأطراف، فلا يمكن أن تكون عملية الكلام ميزة لنبينا آدم ﵇، يختلف بها عنهم، هذا مع فرضية أن اسماء الاشياء أو اللغات هي المقصودة في عملية التعليم.

وهو ما نراه عند بعض المفسرين المحدثين في تسويق نظرية تعليم أسماء الموجودات، مقتديا بجمع من المفسرين الذين سبقوه، وكذلك متبعاً قول اصحاب النظريات اللغوية القائلة بتوقيفية اللغة، انطلاقاً من هذه الآية السابقة، قائلا: ((ها نحن أولاء نشهد طرفا من ذلك السر الإلهي الذي أودعه الله (عزوجل) هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة، سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، سر القدرة على تسمية الاشخاص والأشياء بأسماء يجعلها - وهي ألفاظ منطوقة - رموزا « لتلك الاشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الانسان على الأرض، ندرك قيمتها حتى نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الانسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم

---

١١ المصطفوي، التحقيق في كلمات القران الكريم، ٩٤.

مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه))[١٢]. فنلاحظ كيف حاول سيد قطب أن ينتصر بشدة الى أن تعليم الأسماء هو تعليم اللغات لآدم عليه السلام، وهذا الرأي يواجه اعتراضات كثيرة وواقعية، منها ما أوضحه السيد الطباطبائي في تفسير الميزان، بقوله: ((وأي حجة تتم في أن يعلّم الله (عزوجل) رجلاً علم اللغة، ثم يباهي به ويتم الحجة على ملائكة مكرمين، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، بأن هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم ؟ ويقول تعالى أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للأفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي، على أن كمال اللغة هو المعرفة بمقاصد القلوب والملائكة لا تحتاج فيها إلى التكلم، وانما تتلقى المقاصد من غير واسطة، فلهم كمال فوق كمال التكلم)) [١٣]،فلابد أن تكون هذه الاسماء فيها اسرار خارجة عن علم الملائكة، ومختصة بمقام النبي آدم عليه السلام الذي اراد الله (عزوجل) ان يجعله مؤهلاً لمقام الخلافة، ومقام الخلفاء الذين سيحكمون الارض بالتفويض الالهي، فيكون تحت عنوان النبوة او الرسالة او الامامة. ((فقد ظهر مما مر ان العلم بأسماء هؤلاء المسميات يجب أن يكون بحيث يكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، دون مجرد ما يتكفله الوضع اللغوي من اعطاء المفهوم، فهؤلاء المسميات المعلومة حقائق خارجية، ووجودات عينية وهى مع ذلك مستورة تحت ستر الغيب غيب السماوات والأرض، والعلم بها على ما هي عليها كان اولا ميسورا ممكنا لموجود أرضي لا ملك سماوي، وثانيا : دخيلا في الخلافة الإلهية))[١٤]. فتبين في ضوء هذه الرؤية أن هذه المسميات لها حقائق ملكوتية في عالم الغيب يُطلِع الله تعالى عليها خاصة اصفيائه، وأول هذه الحقائق هي حقيقة النبي محمد ﷺ كما أكدت ذلك الروايات آنفة الذكر.

وفي رواية أخرى للشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : ((... أن الله تبارك وتعالى علم النبي آدم عليه السلام أسماء حجج الله (عزوجل) كلها، ثم عرضهم - وهم أرواح - على الملائكة، فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن

---

١٢ سيد قطب، في ظلال القران، ٦٧.

١٣ الطباطبائي، الميزان في تفسير الميزان، ج١، ١١٧.

١٤ الطباطبائي.

كنتم صادقين بأنكم أحق بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من النبي آدم ﷺ " قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " قال الله تبارك وتعالى : "قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ " (البقرة:٣٣) وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله (عزوجل) ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله (عزوجل) في أرضه وحججه على بريته، ثم غيبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: "ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون " .؟))[١٥]. وهذه الرواية فيها إضافات جديدة تختلف عن سابقتيها، إذ قالت انهم ارواح، وفي هذا دليل على الوجود العيني لها خارج الاجساد، والاضافة الاخرى اراد الله (عزوجل) بهذا الحجاج أن يظهر قدر اصحاب هذه الاسماء. على ما هو الأهم في هذا المقام وهو إراءتهم الأنبياء والأوصياء، خصوصا، خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين وأولاده المعصومين (عليهم السلام).

ولعل الرؤية التي نظر فيها ابن عربي (٦٣٨هـ) لهذه المعاني تتجسد في قوله مشيرا الى هذه الآية : ((وذلك أن النبي آدم ﷺ هو حامل الأسماء، قال تعالى:(وعلم آدم الأسماء كلها) ومحمد ﷺ حامل معاني تلك الأسماء التي حملها النبي آدم ﷺ، وهي الكلم قال ﷺ:(أوتيت جوامع الكلم) ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثنى عليه))[١٦]. فإن محمداً ﷺ أو (الحقيقة المحمدية) قد أعطي حقائق تلك الأسماء، وهي التي يشير إليها ابن عربي بجوامع الكلم. فإذا كان آدم هو الإنسان الظاهر المتعين بالوجود الخارجي في صور أفراده، فالنبي محمد ﷺ هو الإنسان الباطن المتعين في العالم المعقول. [١٧]

وبهذا نصل الى نتيجة مهمة في مقام البحث هنا عن وجود غيبي للرسول الاعظم ﷺ ينقله لنا القران الكريم بإشارات، تحتاج الى كثير الاثارات ومن التأمل والتدبر، والحاجة للوصول اليها يكون في درجة الرقي البحثي في ما وراء الالفاظ ودلالاتها. ومعاني الكلمات التي تتجاوز عالم الالفاظ، وتدخل في عالم الروح والملكوت وهو ما يتكفل به المبحث القادم.

---

١٥ الصدوق،كمال الدين وتمام النعمة، ١٤.

١٦ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج١، ١٠٩.

١٧ ابن عربي، فصوص الحكم، ج٢، ٣٥.

ثانياً: محمد صلى الله عليه وآله كلمة الله في عالم الوجود:

إن اكثر الآيات التي أثّير حول دلالاتها جدلٌ كبير واشتد الخلاف في فهمها، وفهم مفرداتها، هي قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة : ٣٧)، فوقع اختلاف حاد بين المفسرين والباحثين في تأويل وفهم معنى التلقي أولا، ودلالة مفردة (كلمات) ثانيا، وهذا الاختلاف اتضح جليا في الكم الكبير من الروايات التي تواردت في تحديد المعنى المراد من التلقي، والدلالة المقصودة من الكلمات التي تلقاها النبي آدم عليه السلام، وكانت سببا لتوبته؛ لذا فنحن بحاجة الى مباحث مهمة للوصول الى النتائج المرجوة وعلى النحو الاتي:

أولاً: القراءة :

الملاحظ أن في هذه الآية المباركة قراءتين : الاولى : وهو ما عليه أكثر القراء، والتي يكون الفاعل فيها النبي(آدم) عليه السلام والمفعول فيها (كلمات)، وهي قراءة المصحف المشهورة.

والثانية: وهي التي انفرد بها ابن كثير على رأي أكثر المفسرين؛ ولكن هناك من ادعى أن هذه القراءة هي قراءة ابن كثير، وأهل مكة، وابن عباس، ومجاهد، وهي التي تكون بنصب(آدم) عليه السلام على المفعولية، ورفع (كلمات) على الفاعلية[١٨].

وقد حاول ابن خالويه (٣٧٠هـ) أن يبيّن الحجة لكل قراءة، فقال : ((تقرأ برفع آدم،ونصب الكلمات، وبنصب آدم ورفع الكلمات؛ فالحجة لمن رفع النبي آدم عليه السلام، أن الله تعالى لما علّم النبي آدم عليه السلام الكلمات فأمره بهن؛ تلقاهن بالقبول عنه، والحجة لمن نصب آدم، أن يقول: ما تلقاك فقد تلقيته، وما نالك فقد نلته، وهذا يسميه النحويون المشاركة في الفعل))[١٩]، وهذا الاختلاف في القراءتين له أثر في فهم الدلالات الاخرى للتلقي ومعاني الكلمات، سيتضح من خلال المباحث الاخرى.

١٨ المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج٢، ١١٥.
١٩ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ٥١.

ثانياً : معنى التلقي:

ما تلّوح به الآية الكريمة ان النبي آدم ﷺ كان مستجيبا لهذه الكلمات، منقادا لها بطوع وسهولة، وقد كان تعامله معها على سنة التلقين والتطعيم، ولعلّ تكرار فاء التعقيب في عملية التلقي (فتلقى) وفي نتيجة التلقي (فتاب)، تدل على فورية التلقي ومباشرته، وقوة الاستجابة للتوبة، وعمق التجاوب وحرارة التفاعل، تكشف عن هذه التلقائية الايجابية في عمليّة التلقي، وقد يكون لمرارة التجربة التي مرَّ بها النبي آدم ﷺ في عملية الخروج من الجنة، وكمّية العناء في الاحساس بالمعصية، دور في تهيئة النبي آدم ﷺ لمثل هذا النوع من التلقي السريع، فكان مطيعا ومستجيبا بقوة ؛ لذا اجتهد المفسرون في بيان نوع التلقي وتوضيح درجاته المحتملة متعاملين مع معطيات التركيب اللغوي والنحوي.

يرى السمرقندي (٣٧٣ هـ) صاحب التفسير أن التلقي يكون على معنين بحسب القراءتين، فإن كانت ((بالرفع فمعناه أخذ وقبل من ربه، ويقال: تلقى وتلقف، بمعنى واحد في اللغة. وأما من قرأ بنصب (فتلقى آدمَ) ﷺ يعني استقبلته الكلماتُ من ربه (عزوجل)، يقال: تلقيت فلانا بمعنى استقبلته، ومعنى ذلك كله أن الله (عزوجل) ألهمهُ بكلمات فاعتذر بتلك الكلمات وتضرع إليه فتاب الله عليه))[٢٠]، ولكنه لم يتوقف عند معاني هذه الكلمات، بل أوكل ذلك الى الروايات في فهم معانيها.

وحاول الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) أن يفصل بين نوعين من التلقي اعتماداً على القراءتين اللتين قُرأت بهما الآية، فإما ما يخص قراءة الرفع لكلمة (ادم) ﷺ، فيقول : ((وأغنى قوله (عزوجل): (فتلقى) عن أن يقول : فرغبت إلى الله لهن أو سألته عقبهن؛ لأن معنى التلقي يفيد ذلك وينبئ عما حذف من الكلام اختصارا ، ولهذا قال تعالى :(فتاب عليه) ولا يتوب عليه إلا بأن سأل ورغب ويفزع بتلك الكلمات))[٢١]. وهنا يكون بمعنى الاستجابة لدعاءٍ دعا

٢٠ السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج٢، ٧٢.

٢١ المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ١١٥.

به النبي آدم ﷺ ربَّه؛ فاستجاب لدعوته بوساطة هذه الاسماء، فكانت الاجابة بالفاء المقترنة بالتوبة.

ثم ينتقل المرتضى الى القراءة الثانية وهي قراءة ابن كثير، وأهل مكة، وابن عباس ومجاهد(على رأيه)، بنصب النبي آدم ﷺ ورفع (كلمات)، فيقول : ((وعلى هذه القراءة لا يكون معنى التلقي القبول ؛ بل يكون المعنى إن الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة))[٢٢] ؛ من هنا يكون المعنى إن الكلمات هي من بادرت له، وتداركته؛ لتنجيَه بأمر من الله (عزوجل). وهذا يدلّ على أن هذه الكلمات لها من القدرة على التدارك، والقدرة على التفكير، وفيها دلالة مهمة على حيويتها وفاعليتها. وهذا المعنى ينفعنا في الوصول للمعنى الاقرب الذي يُذكر للكلمات في بعض السياقات القرآنية المختلفة.

أما الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) فله وجهة نظر أخرى في بيان عملية التلقي هذه، إذ يقول: ((أُسند الفعل إلى المخاطبين والمفعول به كلام متلقى، كما أن الذي تلقى آدم كلام متلقى، وكما اسند الفعل إلى المخاطبين فجعل التلقي لهم كذلك يلزم ان يسند الفعل إلى النبي آدم ﷺ، فيجعل التلقي له دون الكلمات، واما على ما قال أبو عبيدة معناه قبل الكلمات، فالكلمات مقبولة، فلا يجوز غير الرفع في النبي آدم ﷺ ومثل هذا في جواز اضافته تارة إلى الفاعل، وأخرى إلى المفعول))[٢٣]. فيتضح ان الطوسي لا يرتضي القراءة الثانية التي ترى ان الفاعل هي الكلمات نفسها؛ لأن هذا يعني ان عملية القبول بها لا يمكن ان تكون حاصلة بدافع من النبي آدم ﷺ فلا تحصل التوبة منه حينها.

ومن هنا نفهم أن نوع التلقي مرهون بتعيين الفاعل له، فإن كان النبي آدم ﷺ فيعني أنه كان يبحث عن سبب لتوبته، وحاول أن يجد الوسيلة الى ذلك، فراح يبحث عن هذه الكلمات. وإن كان الفاعل هي الكلمات، فهذا يعني أنها هي من كانت تبحث عنه بوساطة المولى الذي

---

٢٢ المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ١١٥.

٢٣ الطوسي، التبيان في تفسير القران، ج١، ١٦٧.

جعلها أداة للتوبة، ووسيلة لها، فأمرها بالمبادرة لتلقي ادم فهي من أرادت تعريفه بمكانتها ومقامها في عملية التوسل والوصول للتوبة التي ينشدها النبي آدم ﵇. فكان التلقي في ضوء الطاعة والرضا ((فالتلقي هاهنا هو القبول والتناول على سبيل الطاعة، وليس كل ما سمعه واحد من غيره يكون له متلقيا حتى يكون متقبلا، فيوصف بهذه السمة))[٢٤]، فيكون التلقي مساوياً للدعاء الذي هو جزء من مركب عقائدي يتجاوز المنظور الى الغيب، ويعتمد على رؤية مقدّسة تعطي الغيب دور التوجيه والخلق، فهذه الكلمات على قلتها وبساطتها تتضمن عنصرا عقائديا جوهريا، هو حقيقة التوسل لله (عزوجل) بكلمات هنّ من خلقه، وبالاعتماد على هذا التصور لا يضر القول بأن الكلمات هنا تعني القضية العقدية، او أقسام القضية الالهية على وفق بعض التعبيرات. وربما هذا المعنى يفتح لنا مشروعية البحث عن التوسل بالله تعالى ببعض هذه الاسماء او الكلمات في بحث اخر.

وهذا ربما يعيدنا الى حقيقة تلك الاسماء التي تعلمها آدم في قراءة البناء للمفعول في قوله تعالى (وعلم ادم الاسماء كلها)، وستكون هذه الاية في سياق الكشف عن معاني هذه الاسماء بواسطة معرفة الكلمات.

---

٢٤ المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ١١٥.

ثالثاً:معنى الكلمات:

اللافت لنظر الباحث هنا في هذه الآية، الاختلاف المتباين في تحديد معاني هذه المفردة (الكلمات)، فإن اسلوب الآية الكريمة في سياق التربية والتوجيه والارشاد، والدلالة الى ما ينقذ النبي آدم عليه السلام من حيرته في نتائج المعصية التي ارتكبها وسبب له خروجه من الجنة؛ بل في معرض الاعداد لمعركة زمنية صارمة وقاسية على الارض، تجسيدا لكلمة الله (عزوجل)في خلق الزمن وخلافة الارض ليكتمل إعداد الخلافة ومقوماتها. ويبرز الدور المهم الذي تمتلكه هذه الكلمات في مستقبل آدم ومستقبل ذريته، فإنها تمتلك سلطة واضحة في تغيير أثر العقوبة التي اخرجته من الجنة وجعلته يعيش في بيئة جديدة ومخالفة لما عهد عنده عن بيئة الجنة، وما يرافق ذلك من وجود عدو مرافق له في هذه الحياة الجديدة، فكأن الله (عزوجل) يعلمه سلاحا جديدا يستطيع معه أن ينتصر فيه على ذاته وعلى عدوه معا. ومن هنا تبرز أهمية هذه الكلمات وضرورة معرفتها لكي تكون حاضرة في كل زمن، وفي كل حين. وهذا كله يتطلب منا اثارة بعض الاستفهامات حول الدلالات التي تم توجيه معنى هذه الكلمات اليها عند المفسرين :

١- لا يمكن بأي حال ان تكون هذه الكلمات متعددة بالصورة التي ذكرتها كتب التفسير، لأنه وحسب الظاهر فأنها معلومة لدى النبي آدم عليه السلام، وهي سبب للتوبة والرجوع فيها الى الله (عزوجل).

٢- لماذا لم يتفق اصحاب الرواية عن النبي ﷺ في تحديد هذه الكلمات في سؤاله عنه ؟ وهو العارف بالقران الكريم؛ لأنه المتلقي الاول الذي له الحق وحده في تحديد المعنى المراد.

٣- ما تلك القوة الخارقة والمعجزة التي تمتلكها هذه الكلمات فتستطيع بمجرد التلقي تغيّر حالة المذنب والعاصي الى حالة جديدة تسمى التوبة؟. فهي ليست عادية بالمنظور القريب، ولا يمكن أن تكون كلمات منطوقة تشكلها مجموعة من الاصوات العابرة.

فلا ينحصر عندها معنى الكلمة في الأقوال والألفاظ، فيجوز أن يراد منها الأمور التكوينية الروحية، إذاً ليس المقصود بالكلمة هنا صوتًا لفظيًا، إنما شخصًا إلهيًا، مع أن المناسبة تقتضي أن تكون الكلمة المتلقاة من الله (عزوجل)، مسائل روحية تكوينية، لا قولية ولفظية، وإنما تفسر تلك المعاني الخارجية بالألفاظ حكاية عنها وهو الذي جعل ابن عربي(ت ٦٣٨هـ) يبين نوع

هذه الكلمات، بقوله : ((أي : استقبل من جهة ربه أنواراً وأطواراً، أي : مراتب من الملكوت والجبروت وأرواحاً مجردة، إذ كل مجرد كلمة لأنه من عالم الأمر كما سمي عيسى كلمة أو تلقن منه معارف وعلوماً وحقائق))[٢٥].

وقبل ذلك نحن بحاجة الى معرفة دلالة مفردة (كلمة) في الاستعمال القرآني. فقد ذكر الباحثون معاني عدة لمعنى الكلمة بصيغة المفرد وصيغة الجمع، واغلب هذه المعاني تدور حول معنى الكلمة كلفظ مسموع أو مكتوب، والذي يجب معرفته هل جاءت الكلمة مستعملةً في القران الكريم بمعنى الانسان؟

ولعل اوضح مصداق لهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥، ٤٦) وجاء أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء: ١٧١)، فإن هاتين الآيتين وما يشبههما في الدلالة ؛ قُرأت دلالياً بقراءات مختلفة منها ما فصل فيه ابن عربي في فصوص الحكم:

١- المراد أن النبي عيسى عليه السلام وجد من غير واسطة أب؛ لأن غيره وإن وجد بتلك الكلمة لكنه بواسطة أب، أي أنه- سبحانه- إذا كان قد خلق الناس بطريق التناسل عن ذكر وأنثى وأخرج الأولاد من أصلاب الآباء، فإن النبي عيسى عليه السلام لم يكن كذلك، بل خلقه الله(عزوجل) خلقا آخر، خلقه بِكَلِمَةٍ مِنْهُ وهي (كن) فكان كما أراده الله (عزوجل) و (من) في قوله :(منه) لابتداء الغاية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لكلمة: أي بكلمة كائنة منه.فالمراد بقوله (كلمة) أي يبشر بولد حي يسرى عليه حكم الأحياء اسمه المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام وعلى هذا التأويل سار كثير من المفسرين.

٢٥ ابن عربي، تفسير ابن عربي، ج١، ٤٩.

٢- ومنهم من يرى أن الكلمة الذي جاء ذكرها في بشارة زكريا هي نفس الكلمة الذي بُشِّرت به السيدة مريم (عليها السلام)، وهو مسمَّى ذكر، عاقل، كائن قائم بذاته. وقد كفانا القرآن الكريم مؤونة التدليل على صحة هذا الرأي بقوله: بكلمة منه اسمه فهو لم يقل اسمها، مع أن الكلمة مؤنث، دلالة على أن هذه الكلمة ليست لفظاً، بل شخصاً قائماً بذاته، إذ لو كان المقصود من الكلمة اللفظ لعاد الضمير عليه مؤنثاً، أما وقد عاد الضمير عليه مذكراً، فهذا دليل على أن المقصود ليس اللفظ، بل مسمى اسمه المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام.

و على الرغم من أن الكلمة مؤنثة؛ فإن القرآن الكريم لم يقل أن الله (عزوجل) يبشرك بكلمة منه اسمها.. لماذا؟ لأن المقصود بالكلمة هنا ليست كلمة لفظية مثلما قال الله (عزوجل) ليكن نور فكان نور. إنما المقصود بالكلمة هنا كيان[٢٦].

من هنا ينطلق البحث الى محاولة استنطاق بعض الروايات التي تتجه الى بيان هذا المعنى من الكلمات، والذي يهمنا حقا هنا هو ان الكلمات التي تدل على وجود اسم الرسول محمد ﷺ، وكيف تعامل المفسرون من المذاهب الاسلامية المختلفة مع هذه الروايات. فقد رصد بحثنا اشارت لا غبار عليها في التفاسير المختلفة تشير الى ان هذه الكلمات هي محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام.

وأول رواية تواجهنا في تفسير السمرقندي الحنفي(ت٣٧٣هـ) - والتي لم يذكر سندها لأسباب نجهلها - إذ يقول: ((قال بعضهم، قال: بحق محمد أن تقبل توبتي، قال الله (عزوجل) له: من أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمدا رسول الله ﷺ فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه))[٢٧]، وفي هذه الرواية على اختصارها أن اسم النبي محمد ﷺ مكتوب في كل موضع زاره النبي آدم (عليهم السلام) في الجنة، فعرف القيمة التكوينية، والطاقة الملكوتية لهذا الاسم، وقوة الكلمة، فجعلها وسيلة لطلب التوبة منه تعالى.

وتُعد اكثر الروايات وضوحا وتفصيلا ما ذكره السيوطي(٩١١هـ) في الدر المنثور، اذ يروي بقوله: ((أخرج الطبراني في المعجم الصغير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن

٢٦ ابن عربي، فصوص الحكم، ٣٥.

٢٧ السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج١، ٧٢.

عساكر عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء، فقال أسالك بحق محمد الا غفرت لي، فأوحى الله(عزوجل) إليه ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله (عزوجل) إليه: يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو ما خلقتك))[٢٨]، فهذه الرواية فيها اشارات مهمة الى أن اسم النبي (محمد) ﷺ مكتوب على العرش، وهذا يعني أن النبي آدم عليه السلام كان يعرف الكتابة ويقرأها، وانه هو من بادر في طلب المغفرة، وأنه استدل على عظمة صاحب الاسم الذي قُرن ذكره مع اسم الخالق جل وعلا، وبهذا عرف النبي آدمُ عليه السلام أن محمدا ﷺ افضل منه وسابق عليه في الوجود؛ بل هو سبب لخلقه ووجوده. وهنا تبين لنا عظمة هذا الوجود الملكوتي لنبينا الأكرم ﷺ.

و يروي السيوطي رواية اخرى بسند آخر، سنذكرها مع طولها لأهمية السرد فيها، فيقول: ((وأخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربُه، واشتدّ ندمُه، فجاءه جبريل، فقال: يا آدم هل أدلُّك على باب توبتك الذي يتوب الله عليك منه، قال: بلى يا جبريل، قال: قم في مقامك الذي تناجى فيه ربك، فمجّده وامدح، فليس شيء أحب إلى الله من المدح، قال: فأقول ماذا يا جبريل ؟ قال: فقل لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير. ثم تبوء بخطيئتك، فتقول: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا أنت، ربِّ انى ظلمت نفسي،وعملت السوء، فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت، اللهم إني أسالك بجاه محمد عبدك، وكرامته عليك، أن تغفر لي خطيئتي، قال : ففعل آدم عليه السلام. فقال الله (عزوجل): يا آدم من علمك هذا ؟ فقال: يا رب انك لما نفخت فيّ الروح، فقمت بشرا سويا، أسمع وأبصر وأعقل وأنظر، رأيت على ساق عرشك مكتوبا، بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، فلما لم أرَ على أثر اسمك اسم ملك مقرب، ولا نبي مرسل غير اسمه،علمت أنه أكرم خلقك عليك، قال : صدقت وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك، قال: فحمد آدم ربه وشكره، وانصرف بأعظم سرور لم

---

٢٨ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج١، ٥١.

ينصرف به عبد من عند ربه))[٢٩]، وهذه الرواية تختلف عن سابقتها في أشياء منها: أن جبريل عليه السلام هو من علّم النبي آدم عليه السلام التوسل وطلب التوبة بالنبي محمد ﷺ، ولكن النبي آدم عليه السلام كان قد علم بوجوده بطريقة ذاتية. وأن الاسم المبارك كان مكتوباً في ساق العرش. وهذه الرواية صريحة جداً بذكر اسم النبي محمد ﷺ، وفيها من الخصوصية المطلقة لشخصه الكريم ووجود عنصره الملكوتي قبل خلق النبي آدم عليه السلام. وتشير بما لا ريب فيه بوجود الاسم المبارك قبل خلق آدم عليه السلام، وأن وجود اسمه بهذه الإمكنة لابد من أن يرافقه وجود المسمى.

وذكر العياشي (ت ٩٣٢ هـ) في تفسيره بسند واضح عن امير المؤمنين الامام علي عليه السلام قال: ((الكلمات التي تلقيها آدم من ربه، قال: يا رب أسئلك بحق محمد لّما تبتَ عليّ، قال: وما علّمك بمحمد؟ قال: رأيته في سرادقك الأعظم مكتوبا وأنا في الجنة))[٣٠] وهنا تجدد مكان وجوده، بعد أن اثبتت الروايات السابقة وجود الاسماء في ساق العرش، هذه الرواية تثبت وجود الاسماء في سرادق الجنة، ونرى أنه لا يوجد تعارض في هذا التجدد المكاني؛ بل هذا يثبت أن الاسماء المباركة موجودة في أماكن متعددة وكثيرة لأهميتها الوجودية والملكوتية، وفيها ومنها أسرار عديدة.

ويذكر فرات الكوفي (ت٩٣٦هـ) ايضا الرواية بإسناد جديد، قال: ((حدثنا محمد بن القاسم بن عبيد قال: حدثنا الحسن بن جعفر قال: حدثنا الحسين بن سواد أو [سوار] قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا شجاع بن الوليد أبو بدر السكوني قال: حدثنا سليمان بن مهران الأعمش عن أبي صالح: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما نزلت الخطيئة بآدم وأخرج من الجنة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ادع ربك قال: حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال: قل: رب أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صلبي آخر الزمان إلا تبت علي ورحمتني فقال له آدم عليه السلام يا جبرئيل سمهم لي قال: قل: رب أسألك بحق محمد نبيك وبحق علي وصي نبيك وبحق فاطمة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك إلا تبت علي ورحمتني: فارحمني، فدعا بهن آدم عليه السلام فتاب الله عليه وذلك قول الله (عزوجل): فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)، وما من عبد مكروب يخلص النية يدعو بهن إلا استجاب الله (عزوجل) له))[٣١]. وهذه الرواية تعيدنا الى الاسماء التي تعلمها آدم

٢٩ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج١، ٦٠.
٣٠ العياشي، تفسير العياشي، ج١، ٤١.
٣١ الكوفي، فرات الكوفي، ٥٨.

عليه السلام في عملية التحدي الذي فرضه الله (عزوجل) للملائكة في ترجيح الخليفة الذي يستحق الخلافة. والحقيقة لا يبعد ان تكون الكلمات هي نفسها الاسماء التي علمها الله (عزوجل) لادم عليه السلام. فتكون عملية التعليم في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ (البقرة:٣١) مساوية لعملية التلقي في هذه الآية المباركة. ووجود اتحاد دلالي بين المفردتين.

وقد علق الالوسي (ت ١٢٧٠هـ)على هذا المعنى بديباجة لطيفة يحسن الوقوف عندها ((وقيل: رأى مكتوباً على ساق العرش، محمد رسول الله فتشفع به، وإذا أطلقت الكلمة على عيسى عليه السلام، فلتطلق الكلمات على الروح الأعظم، والحبيب الأكرم صلى الله عليه وآله، فما عيسى، بل وما موسى، بل وما.. وما.. إلا بعض من ظهور أنواره، وزهرة من رياض أنواره))[٣٢]. فهنا قرب الالوسي بين التعبير عن عيسى في كونه كلمة، وبين الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذي عبر عنه بأنه الروح الأعظم، وهو بطبيعة الحال اعظم ممن عبّر عنه القرآن الكريم بانه كلمة من كلماته، بل هو صفوة تلك الكلمات التي لها من القوة الاستعمالية في تغيير حقائق الذنوب وتحولها الى توبة صادقة ومزكّية، جعلت النبي آدم عليه السلام مؤهلاً للاجتباء، ومن ثم الاصطفاء وذلك بقوله (عزوجل): ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه : ٢٢). واذا ماقمنا بمقابلة بين هاتين الايتين في معادلة دلالية واجرينا عملية تعويض بين العبارات وحذف المتشابه بينهما :

ثم اجتباه ربه + فتاب عليه = فتلقى ادم من ربه كلمات + فتاب عليه

نجد بعد حذف المشتركات بين طرفي المعادلة وهي عبارة فتاب عليه

ينتج أن : ثم اجتباه ربه = فتلقى ادم من ربه كلمات

من هنا فان عملية التلقي للكلمات تتساوى سياقياً مع تعلم الاسماء، ومعرفة هذه الاسماء أو الكلمات كان سببا مهما في إنتاج التوبة التي تمهد الى الاجتباء الذي هو درجة من درجات العصمة، وهو لم يكن وليد الصدفة، بل هو مرتبة حصل عليها النبي ادم عليه السلام بعد تلقي كلمات بعينها، فتكون القيمة الدلالية لعملية التلقي مساوية لمرتبة الاجتباء الذي حصل عليه النبي آدم عليه السلام بسبب هذه الكلمات.[٣٣] وهذا ربما يسهل لنا فهم الكلمات التي ابتلى بها الله (عزوجل) ابراهيم عليه السلام في مرحلة لاحقة من الفهم.

٣٢ الآلوسي، روح المعاني، ج١، ٢٢٧.

٣٣ عيدان،صباح حمود،مراتب الدلالة القرانية بين الاجتباء والاصطفاء في ضوء العلاقات السياقية،مجلة اللغة العربية وادابها،جامعة الكوفة، ٢٠١٥م، ع ٢٢، ج١، ٤٧١.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة القصيرة في كتب التفسير التي تشكل الروايات معينا مهما لمعرفة النص فيها، ورافدا لا يمكن الاستغناء عنه في الوصول الى حقيقة الفهم القرآني ؛ يمكننا أن نلخص أهم القيم الدلالية التي نستفيدها من خلاصة البحث :

تمثل هذه الرؤية التي بين أيدينا مرحلة مهمة من مراحل الفهم القرآني ؛ إذ تضع الرسول الاكرم في مرتبته الملكوتية التي من أجلها خلقه الله(عزوجل)، وجعله في هذه المنزلة العظيمة باسمه الكريم ؛ لكي يكون سبباً مهماً في توبة العصاة حتى لو كانوا مثل آدم عليه السلام وزوجته.

تعريف النبي آدم عليه السلام بأهمية هذه الاسماء وهذه الكلمات ؛ يشكل مرحلة مهمة من المنزلة التي يتمتع بها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ومن اشترك معه في عنوانات الاسماء والكلمات، ينبغي ان يكون حافزا للآخرين لبيان أهمية التوسل الشرعي، و تصحيح مفهوم التوسل عند المذاهب الكلامية.

لاشك أن وجود هذه الاسماء والكلمات سابق لوجود النبي آدم عليه السلام، وفي هذا اشارة واضحة أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله كان موجودا قبل خلق النبي آدم عليه السلام.

شكلت معرفة دلالة الاسماء والكلمات وسعة وجودها في عالم الملكوت، حيزاً مهما في هيكلة سلم المعرفة عند النبي آدم عليه السلام، ومن بعده ذريته من الانبياء، في البحث عن مراتب الاجتباء للنبوة، والاصطفاء للرسالة.

ينبغي الاهتمام بهذه الروايات، والتحقق من علاقتها الدلالية مع سياقات النص القرآني في مختلف مراحل الايمان بالغيب، الذي يعده القران جزءا مهما من اركان الايمان لكل المؤمنين.

المصادر

القران الكريم

ابن خالويه، الحسين بن احمد، الحجة في القراءات السبعة، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، لبنان-بيروت، ١٩٧٩م.

ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي، تفسير ابن عربي، تحقيق : ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي، لبنان- بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.

ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت -لبنان، د. ت.

ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي، فصوص الحكم، بيروت لبنان د.ت.

الالوسي، ابو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القران العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

حمود، د. صباح عيدان، مراتب الدلالة القرانية بين الاجتباء والاصطفاء في ضوء العلاقات السياقية ،مجلة اللغة العربية وادابها، كلية الاداب- جامعة الكوفة، العدد :١/ ٢٢ ،حزيران ٢٠١٥.

الخميني،السيد مصطفى، تفسير القرآن الكريم، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الاولى، جمادى الثاني ١٤١٨هـ.

سيد قطب، في ظلال القرآن. دار التراث العربي، لبنان-بيروت ط، ١٩٦٧ م.

السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.د.ت.

الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة - إيران، محرم الحرام، ١٤٠٥هـ.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، دار احياء التراث العربي ١٤٠٩هـ.

العسكري، الامام أبي محمد الحسن بن علي (عليهم السلام)، التفسير المنسوب إلى الامام العسكري(عليه السلام) تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف) قم المقدسة، المطبعة مهر ، قم المقدسة، ربيع الأول - سنة ١٤٠٩ هـ.

العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران، د. ت.

قلعة جي، أ. د محمد رواس، و د. حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد ،الإسلامي - طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

المرتضى، الشريف، رسائل الشريف المرتضى، دار القرآن الكريم ، قم، ١٤٠٥ هـ.

المشهدي، محمد الميرزا ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المتوفى حدود عام

١١٢٥ هـ، كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، شوال المكرم ١٤٠٧ هـ.

المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القران الكريم، مركز نشر اثار العلامة المصطفوي، الطبعة الاولى، ١٣٥٠ هـ. ش.